بتاريخ 18 ذيقعده 1445
الاوامر

الجلسة 96

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمْ
الْحَمْدُ للّه رَبِّ الْعَالَمِينْ وَصَلَى الله عَلَىٰ سَيِّدَنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينْ

رَشحة عن الجلسة الماضية

لقد صرّح المحقّق الآخوند بأنّ سائر الصيغ الإنشائية كالتمني و الترجي و الاستفهام قد وضعت للتّرجي الإنشائيّ و الاستفهام الإنشائيّ و هكذا نظير الطّلب الإنشائيّ فإنّ العنصر المشترك في كافّة الصّيغ هو «الإيقاع الإنشائيّ» حيث إنّ هذا المعنى قد زُرع في موضوعها سويّةً، سواءٌ قد استعملَها الله تعالى أو أنشأها البشر، إلا أنّ المائز بينهما هو أنّ الإنسان يَترجّى بحالة ـ و داعية ـ حقيقيّة فيَستخدم التّرجي الإنشائيّ واقعاً بحيث إنّ الموضوع له ـ الإيقاع الإنشائيّ ـ قد التَأَمَ مع داعي الإيقاع الإنشائيّ حقيقةً بينما هذه الصّفات المُنحطَّة قد استحالت في حقّ الله سبحانه فإنّه تعالى يَستعمل الصّيغ الإنشائيّة بدواعٍ أخَر فيَتمنَّى لإظهار المحبّة أو يَستَفسِر لداعي الإنكار و التقرير و التوبيخ و... فبالتّالي لا يَتمنّى و لا يَترجّى و لا يَستفسِر حقيقةً كي تَتولّد الاستحالة الذّاتية.

محادثة المحقّق الاصفهانيّ حول الصفات الدَّانية تجاهَه سبحانه

لقد شرح المحقّق الاصفهانيّ ـ في البداية ـ مقالةَ أستاذه مُعترضاً قائلاً:[1]

«لا يخفى عليك (الإشكال على الكفاية):

1. أنّ المحال في حقّه ـ تعالى ـ ثبوتها و (تلبُّسُه بها) لا إظهار[2] ثبوتها (فإن الله قد أظهر تلك الصفّة خارجاً فحسب من دون أن يَتلبَّس بها فبالتّالي لا يَتولَّد المستحيل).

2. و الأغراض المترتّبة على إنشاءاتها (هي) بلحاظ كشفها عن ثبوتها (في النفس بحيث يُنشئ الصيغَ كي يكشف عن أن الصّفة ثابتة في المتكلّم) لا بلحاظ نفس وجوداتها الإنشائية (فلم يَخلق صيغاً إنشائيّةً محضة بل لكي يكشف عن ثبوتها) فإنّ إيجاد المفهوم بوجوده الجعليّ العرضيّ اللفظيّ (و هو الوجود التّنزيليّ) ـ مع قطع النظر عن كشفه عما (في الضّمير و) هو استفهام، أو تمنّ أو ترجّ بالحمل الشائع ـ لا يترتّب عليه إظهار المحبّة و غيرها من الأغراض. (فمع مجرَّد الطّلب أو التّمني الإنشائيَّين و غيرهما في مقام التّلفّظ لا يَتحقَّق غرضُ المتكلِّم كما زعمه الكفاية بل إنّ استخدام الصّيغ سيَكشف حتماً عن ثبوتها في نفس المتكلّم بالحمل الشائع كي يتحقّق الإنشاءُ الحقيقيّ، لا محض الإنشاء اللفظيّ).

ثمّ تَجاهَر عن رأيه النّهائيّ قائلاً:

فالإنصاف أنّ كيفيّة الاستعمال و الدلالة (و الموضوع له) على الجدّ في ما وقع في كلامه ـ تعالى ـ (هي) على حدِّ ما في كلام غيره (فلا يَختلف استعمال الله تعالى عن البشر من ناحية المستعمل فيه إذ المعنى الحقيقيّ محتَفَظ في كلا استعمالين إلا أنّ القصدَ مُتفاوِت فيهما) إلا أنه فيه ـ تعالى ـ لإظهار المحبّة مثلاً، فهو يُظهر المحبّة و الاستيناس بإظهاره الاستفهامَ الحقيقيَّ بقوله تعالى: وَ مٰا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يٰا مُوسىٰ[3]، كما أنّه ـ تعالى ـ يُشجّعُه ـ عليه السلام ـ على دعوة فرعونَ بإظهاره الترجّي الحقيقيّ (فالاستعمال حقيقيّ بخلاف الكفاية) بقوله تعالى: لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشىٰ.[4] فافهم.»

فبالتّالي، إنّ الله تعالى قد استَخدم الاستفهامَ الحقيقيَّ وفقاً لمعناه الذي وُضع له تماماً فلم يتغيّر المعنى الحقيقيّ تجاه الله تعالى إلا أنّ مُستهدَفه ـالجديّـ تعالى قد تعلّق بإظهار المحبّة في مورد التّمني و إظهار الاستيناس في مورد الاستفهام و هكذا فإنّ الله تعالى يَستخدم عمليّةَ إظهار الصفات من دون أن يَتلبّس بها إطلاقاً، و اتّضح أنّ هذا الإظهار قد نبَع عن غرض جديّ كالمحبّة و... ـلا التّمني الجديّـ بينما البشر يَستخدم الصيَغ على حقيقتِها و بقصد التّمني الحقيقيّ ـجديّاً ـ أيضاً.

زَحزحةٌ تجاه مقالة المحقّق الاصفهانيّ

و نُلاحظ عليه:

1. أولاً: إنّه قد فسّر الإظهارَ تفسيراً مُستجدّاً زاعماً أنّ الإظهار لا يَتوقّف على ثبوت الصّفة في النفس ـأي ظهور اللفظ في معناه الحقيقيّ لا بقصد الثبوت بل بقصد آخرـ بينما الإظهار المُصطلَح يَرتهِن على الثّبوت ـأي إظهار ما في الضميرـ فحينما يَستخدم صيغة التّمني فقد أظهر و كشف أُمنيَّتَه الباطنيّة حتماً، فكيف يقول المحقّق الاصفهانيّ بأنّ المتكلّم قد أظهر الاستفهام و... من دون أن تَثبت الصّفة بداخله فإنّه لولا ثَبات المنبع و الصّفة الدّاخليّة لَما تحقّق الإظهار و الكشف إطلاقاً فإنّها منشأ الإظهار.

2. وثانياً: يَبدو أنّه قد ارتَكب المجازيّة إذ قد دَمجَ معنى التّمني في كلا استعمالين ـتمنّي الله تعالى و البشرـ ثمّ بَدَّل الأغراض الجديّة، و هذه الصَّنيعة تَستدعي المجازيّة.

3. و ثالثاً: إنّ مَئال مَقاله يَئول إلى مقال الكفاية تماماً فإنّ تغيير القصد و الغرض يُساوي تبدّل الدّواعي ـالتي قالها الكفايةـ في النِّتاج.

مَسرَح نظرنا في هذا المضمار

و أساساً إنّا قد هَدَمنا ـمسبقاًـ بُنيان التّفكير حول «الوجود الإنشائي» فقد شَرحا أنّ اللفظ لا يُوجد شيئاً إطلاقاً ـلا في التّكوين و لا في الاعتبارـ و بالطّبع لا يُعقل للفظ أنّ يوجِد معنى إنشائياً ـبشتّى الإنشائيّات المذكورةـ بل مُهمّة الألفاظ هي أن تَحكي عن كُمون حقيقته الباطنيّة في التّمني أو الاستفهام أو التّرجي أو الطلب الحقيقيّ أو... فإنّ هويّة الإنشائيّات هي الحكاية فحسب بحيث إنّ الواضع قد وضع الألفاظ كعلامات و إشارات لهذه الحقائق المُخَبّأة من دون تُستعمل الألفاظ في المفاهيم و المعاني و الموضوع له المُصطلَح بل إنّما موضوع الألفاظ هي الحكاية ـليس أكثرـ و في هذا المُنطَلَق لا نَتورّط في المجاز و خلاف الظّاهر و... فبالتّالي إنّ البشر الذي يَجهل الواقع سيَحكي عن تمنّيه الواقعيّ و عن ترجّيه المكنون حقيقةً، بينما الله تعالى سيَحكي عن إرادة المَحبَّة و الاستيناس و الرّحمة و... المَكتومة لديه ببركة استخدام هذه الصّيغ.

و لهذا قد استَنكرنا مسبقاً الكبرى القائلة: بأنّ الواضع قد وَضع لكافّة الألفاظ معانٍ و مفاهيمَ حقيقيّة فإنّ هويّة اللفظ هي علاميّة للحقائق الباطنيّة أو الإرادات الداخليّة أو النّسبة الواقعة فحسب

مُتّجَه المفسّرين تجاه الآيات المذكورة

لقد عَثرنا على تفسيرات بعض الأعلام[5] مُصرّحاً بأنّ التّرجّيات ـلعلّـ التي يَستخدمها الإنسان يَعود إلى جهل المتكلّم بالتحديد حيث يَترجّى أن تُثمر المزرعة ثِمارها، بينما ترجّي الله سبحانه بلحاظ المتعلّق و الفعل الخارجيّ من دون أن يَجهل النّتيجة ـفلربما لم يَتحقّق الفعل المترقَّبـ.

و نلاحظ عليه بأنّ التّرجّي الإلهيّ تجاه المتعلّق و الفعل مستحيل أيضاً[6] بل أحياناً يُستخدم لفظ «لعلّ»:

1. لأجل التّعليل ـلا للتّرقّبـ نظير قوله تعالى: «ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون»[7].

2. أو للغاية نظير قوله تعالى: «و اتّقوا الله لعلكم تفلحون»[8].

و الحقّ الحقيق أنّ «لعلّ» يُستخدم للحكاية عن إرادته لتحقّق المحبّة ـ من دون تغيّر معنى اللفظ ـ لا أنه قد استُعمل بلحاظ الفعل الخارجيّ فإنه خلاف الظّاهر.

---

[1] نهاية الدراية في شرح الكفاية. Vol. 1. ص309 بيروت ـ لبنان: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث.

[2] و الغرض من إظهار ثبوت تلك الصفات، ايراد كلام له ظهور بحسب مقام المحاورة في ثبوت هذه الصفات، و إن لم يقصد الحكاية عن ثبوتها (في نفسه) بل قصد بإيراده إظهارَ اللطف و المحبة؛ لئلا يلزم من قصد الحكاية عن ثبوتها الكذب. فتدبر (منه عفيَ عنه).

[3] سورة طه ١٧:٢٠.

[4] سورة طه ٤٤:٢٠.

[5] قد صرّح الأستاذ المعظّم أنّهما: آية الله العظمى الشيخ جوادي الآمليّ و الشيخ جعفر السّبحانيّ في ذيل هذه الآيات ـ التمني و الترجي و الاستفهام و... ـ

[6] لأنه يستتبع الجهل بعاقبة الأفعال.

[7] سورة البقرة الآية 52.

[8] سورة آل عمران، الآية 200.